الشعر الصوفي في تشاد
موضوعاته وخصائصه

إعداد

د/ إيهاب علي عامر علي بدران

المحاضر بكلية الآداب والإعلام والفنون
بجامعة الملك فيصل بدولة تشاد
وعضو بعثة الأزهر الشريف

1436هـ /2015م

إصدار مايو لسنة 2015
شعبة النشر والخدمات المعلوماتية

المدلول اللغوي لكلمة "تصوف":

يكاد يجمع أصحاب اللغة على أن كلمة "تصوف" مأخوذة من مادة (ص وف)، إلا أنهم اختلفوا في تفسيرهم لأصل المادة اللغوية .

ففي معجم "لسان العرب" لابن منظور:(الصوفة) كل من ولي شيئا من عمل البيت وهم الصوفان ،وقيل :(صوفة) قبيلة اجتمعت من أفناء القبائل [1]

وفي القاموس المحيط: "ذو الصوفة :قدس ، وصاف الكبش صوفا ووصوفا فهو صاف وصاف وأصوف ،وصوف كفرح،وأصاف الله عن شره،أي :أماله " [2]

وفي "المصباح المنير" :تصوف الرجل ،وهو صوفي من قوم صوفية ،كلمة مولدة ، أي ليست أصيلة في العربية [3]

وفي "تاج العروس" (الصوفية) نسبة إلى آل صوفان الذين كانوا يخدمون الكعبة ويتنسكون،ونسبوا إليهم تشبيها بهم في التنسك والتعبد ،أو إلى أهل الصفة ،فيقال :مكان الصفية ،الصوفية بقلب إحدى الفاءين واوا للتخفيف ،أو إلى الصوف الذي هو لباس العباد وأهل الصوامع. [4]

وذهب قوم إلى أنها مأخوذة من الصفاء ؛ لأنهم قوم صفت نفوسهم من أدران الدنيا،إلا أن هذا الرأي مردود بالنسب إلى صفاء، تقول: صفائي ، وليس صوفي .

وقيل: إنها نسبة إلى أهل الصفة وهم قوم من فقراء الصحابة بنى لهم الرسول صلى الله عليه وسلم صفة في مؤخرة المسجد وهو مردود أيضا لأنه لايساير الأوضاع اللغوية الصحيحة.

والرأي الذي عليه أكثر الباحثين ، أن التصوف نسبة إلى الصوف ؛ لأنه كان مظهرا من مظاهر حياتهم،فالصوف لخشونته كان لباس الزهاد والعباد اختيار في جميع العصور، كما أن المتصوفة قد ابتعدوا عن كل ما من شأنه الرقة واللين والتنعم وجمال المظهر ، فإن لبس الصوف الخشن هو ما يناسب ذلك

---

(1) لسان العرب 200/9 دار صادر بيروت ،لبنان .

(2) القاموس المحيط ، الفيروزبادي ،237/3،دار إحياء التراث العربي ،بيروت ، لبنان 1991م .

(3) المصباح المنير ، الفيومي ، ص: 245،دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان 1987م .

(4) تاج العروس،الزبيدي،تحقيق:إبراهيم الترزي،ص:345،دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان،1987 م .

وخـاصة المتقدمين منهم،إضافة إلى أنه يساير المعنى والـقياس،فصوفي نسبة إلى الصوف.

المدلول الاصطلاحي لكلمة "تصوف":

تعددت مفاهيم التصوف وتنوعت إلى تعريفات كثيرة، منها،أنه" علم الحقيقة ، وهو علم يعرف به كيفية ترقي أهل الكمال من النوع الإنساني في مدارج سعادتهم والأمور العارضة لهم في درجاتهم بقدر الطاقة البشرية ، وقالوا فيه :

علم التصوف علم ليس يعرفه إلا أخو فطنة بالحق معروف .
وليس يعرفه من ليس يشهده وكيف يشهد الشمس مكفوف .

وهو علم طريقة تزكية النفس عن الأخلاق الردية، وتصـفـية القـلب عن الأغـراض الدنية ،وقالوا :إن لـهذا العلم ثمرة تدعى علوم المكاشفة ، لا تكشف عنها الـعبارة ، بل الإشارة"[5]
وقيل: إنه "ميل الإنسان إلى التبتل والزهد والإعراض عن الدنيا "[6]

وقال الإمام الجنيد: "التصوف : استعمال كل خلق سني ، وترك كل خلق دني" وقال الشبلي :"التصوف : استعمال حواسك ومراعاة أنفاسك" وقال ذو النون : " الصوفي من إذا نطق أبان نطقه عن الحـقـائـق ، وإذا سكت نـطـقـت عـنـه الجوارح بقطع العلائق " [7]

---

[5] المعجم المفصل في الأدب ،د/ محمد التو نجي ، 257/1،دار الكتب العلمية _بيروت _لبنان،ط 2 ،1419هـ/1999م .

[6] جمهرة الأولياء وأعلام التصوف ،محمود أبو الفيض ،269/1، عيسى البابي الحلبي وشركاه ،القاهرة ،مصر،1967م.

[7] المعجم المفصل في الأدب ،259/1 .

وقيل :"إنه علم يعرف به أحوال النفس ، محمودها ، ومذمومها، وكيفية تطهيرها من المذموم منها وتحليتها بالاتصاف بمحمودها ،وكيفية السلوك والسير إلى الله تعالى والفرار إليه "[8]

ويقول الشيخ محمد عبده عن الصوفية :"هم طائفة من المسلمين همهم من العمل صلاح القلوب، وتصفية السرائر ، والاستقبال بالأرواح وجهة الحق الأعلى جل شأنه ، قد تأخذهم الجذبات عمن سواه ، وتفنى ذاتهم في ذاته ،وصفاتهم في صفاته ، والعارفون منهم البالغون إلى الغاية من سيرهم في أعلى مرتبة من الكمال البشري بعد النبوة ".[9]

اتضح لنا من خلال ما سبق ،أن التصوف له مفاهيم وتعريفات عديدة ،وصلت إلى ألف قول، ولكن مهما اختلفت هذه التعريفات ، فإن جلها يدور حول تزكية النفس والإخلاص والورع والإيمان القوي في العبادة والتمسك بالسنة ، وهو ناتج عن الزهد ،الذي هو صرف الرغبة عن الشيء إلى ما هو خير منه .

نشأة التصوف:

لا يساورنا شك في أن المسلمين في عهودهم الأولى من الفتوحات الإسلامية قد تأثروا بثقافات غيرهم من الأمم ،سواء الفرس أو الهند أو اليونان ،ولكن المسلمين استطاعوا أن يمزجوا تأثرهم بطبيعتهم الدينية التي تدين بدين الإسلام .

إننا عندما نتأمل كلمات القرآن وألفاظه والأحاديث النبوية الشريفة ، نجد آيات كثيرة تدل على كثير من مبادئ التصوف ، من مثل : الحب الإلهي

---

[8] لمحات من التصوف وتاريخه ، حسين السائح علي ،ص :29، كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس ، ليبيا ،1997م.

[9] التصوف الإسلامي مبادئه ومقاصده وغاياته ،أحمد التيجاني القوني ،ص: 20،دار التيجاني المحمدي ،تونس 1987م.

،والحب النبوي ،المجرد عن كل غاية أو هدف ، من مثل قوله تعالى: " قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم " [10]

وكقوله صلى الله عليه وسلم :"ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان ، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ،وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار " [11]

كما تسهم القصص القرآني بمنبع فياض ثر بالمعاني والرؤى التي حولها الصوفيون إلى رموز تتفق وأحوالهم، وقد استطاعوا التفنن في صياغة مشاعرهم وعرض أفكارهم في لغة رمزية ومعان غامضة،فيها إمتاع للعقل وإشباع للعاطفة

كما رأى الصوفيون في أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وأفعاله وسلوكياته ما يمهد لهم الطريق المستقيم في التعمق في الزهد والعبادة والبحث عن الحقيقة في هذه الحياة الدنيا.

كما أسهم سلوك الخلفاء الراشدين في أن يكون هداية وأنموذجا احتذاه الصوفيون ،وفي مقدمة هؤلاء الخلفاء الفاروق عمر بن الخطاب ،حيث اتخذوه أسوة يتعلقون بها لمعان وأمور اختص بها ، مثل : لبس المرقع من الثياب ،والخشونة ، وترك الشهوات ،واجتناب الشهوات ،ومساواة الأقارب والأباعد في الحقوق ،والتمسك بالأشد في الطاعات ، وقلة المبالاة من لوم الخلق عند ظهور الحق .

وإذا كان الزهد هو السمة الغالبة في القرن الأول الهجري ، وبخاصة لدى الصحابة الذين ظلوا متمسكين بحياتهم التي ألفوها مع الرسول صلى الله عليه وسلم ، فإنه في القرن الثاني قد سار في نفس الاتجاه وتطور شيئا ما من خلال الحسن البصري ورابعة العدوية ، التي تطور الحب الإلهي عندها بلغ درجة تسمو فوق الخوف والرجاء ،إلى نهج جديد هو حب الله لذاته فقط لا لشيء آخر .

---

[10] سورة آل عمران ، الآية :31 .

[11] صحيح مسلم 66/1،دار إحياء التراث العربي،بيروت لبنان ،1954م.

وفي القرن الثالث الهجري سار التصوف مسارا جديدا حيث سيطر الحب الإلهي وازداد الصوفية في استعمال الألفاظ التي يخاطبون بها الله ،ومن متصوفي القرن الثالث معروف الكرخي ،وأبو يزيد البسطامي .

وفي بداية القرن الرابع الهجري أصبح التصوف مدرسة لها قواعدها وأصولها التي يتلقاها المريد على يد أستاذ ويخضع لإرشاده خضوعا أعمى ،وترتب على ذلك ظهور الطرق الصوفية ، وسميت باسم أحد المشايخ المؤسسين لها ،مثل الجنيدية نسبة إلى أبي القاسم الجنيد ،والخرازية نسبة إلى أبي سعيد الخراز، والنورية نسبة إلى أبي الحسن النوري .

ويعد القرن الرابع هو البداية الحقيقية لظهور الأدب الصوفي حيث كثر استعمال الرمز في الأسلوب وجموح العاطفة ،ما سبب لهم صراعات مع الفقهاء ،وظهرت فكرة علم الشريعة وعلم الحقيقة.

وفي القرن الخامس الهجري تقارب أهل الشريعة وأهل الحقيقة ،بفضل جهود الإمام الغزالي ،الذي حاول التوفيق بين الفريقين عن طريق كتابه "إحياء علوم الدين" .

وفي القرنين السادس والسابع الهجريين، أصبح التصوف في أعلى درجته فكرا وفنا ، وتشرب ر واده مبادئ الثقافات الأجنبية ،مثل الفارسية والهندية واليونانية ،كما حدث امتزاج بين الفلسفة والتصوف ، فصار الصوفيون يكتبون أشعارهم الفلسفية التي تكشف عن رؤى فياضة ، وخيال خصب ،وفي مقدمة هؤلاء الصوفية ،ابن الفارض ،وابن عربي،وجلال الدين الرومي، وفريد الدين العطار.

ثم جاء بعد ذلك الإمام البوصيري ،حين هاجم الصليبيون والمغول العالم الإسلامي ، وأرادوا القضاء على الإسلام ، ولكن الصوفيون _آنذاك_قاموا بدور جليل، تمثل في إرشاد الناس وتبصيرهم ،وحملهم على الجهاد في سبيل الله دون خوف أو وجل .

وفي هذه المرحلة لم يضف البوصيري ومن جاء بعده إلى ما سبق ، ولكنهم تأثروا بمن سبقهم ، وقد ركزوا على المدائح النبوية المتمثل في حب المصطفى صلى الله عليه وسلم ،الذي يعد الأمل في وحدة المسلمين وجمع كلمتهم ،مما حدا بالصوفية إلى السيطرة على الناس في تثبيت عقيد الكرامات للأولياء والصالحين منهم . [12]

ظهور الشعر الصوفي في تشاد:

في أواخر القرن السادس الهجري ظهر الشعر العربي في تشاد في منطقة البحيرة ،وقد ظهر في هذه الفترة الشاعر إبراهيم الكانمي (الأسود)الذي دخل الأندلس وذاع صيته فيها ،ونمت موهبته ،حيث قال الشعر في أغراضه المختلفة خلا الهجاء ، الذي نفر منه ،إلا أنه قد ضاع معظم نتاجه الأدبي ؛ لعدم التدوين ، وفقدان الرواة ،وهو مايعاني من الأدب العربي في أفريقيا عامة والتشادي خاصة ، فلم يصلنا منه شيء يذكر .

وفي مملكة وداي ، كان معظم الشعراء الذين تركوا آثارا شعرية ، قد وفدوا إليها لطلب العلم ، أو لأغراض أخرى قد تضافرت عوامل أدت إلى يقظة الشعر وخاصة بعد تأسيس مدينة أبشة ، منها، موقع وداي الذي يعد أقرب إلى الثقافة المشرقية إلى جانب اتصالها بالثقافة المغربية ،واهتمام سلاطين المملكة على ربط أنسابهم بالعرب ،كما ورثت وداي التراث الثقافي لسلطنة كانم وطورته وزادت فيه ،ووجود تنافس بينها وبين سلطنة الفور أدى إلى اجتذاب العلماء والأدباء ونمو الحركة العلمية والأدبية فيها.

وفي منتصف القرن الثامن عشر الميلادي بدأ تدوين الشعر وتوثيقه في أغراض الشعر حتى اتسعت وارتقت من حيث الجودة في منتصف القرن التاسع عشر ،وظهرت دواوين مخطوطة لبعض الشعراء الذين يتسم شعرهم بسمات الشعر الصوفي،كديوان الشيخ عبد الحق السنوسي والشيخ الطاهر التلبي

---

[12] الأدب الصوفي _اتجاهاته وخصائصه ،د/ صابر عبد الدايم ،9_22 بتصرف،دار المعارف ،ط:2، 1404هـ/1984م.

ومن الشعراء الذين تناولوا الشعر الصوفي في العصر الحديث ،علي آدم بحر،وحسين إبراهيم أبو الدهب ، ومحمد جرمة خاطر ، والشيخ علي أحمد طه، وأحمد البرعي .

من خلال هؤلاء الشعراء ظهر الشعر الصوفي في تشاد وصاحب ذلك دخول الطرق الصوفية التي دخل فيها كثير من المسلمين في تشاد ،مما أدى إلى الاهتمام بعلوم اللغة وآدابها ، حتى يصل الشعر إلى مرحلة الجودة والروعة .

موضوعات الشعر الصوفي:

إذا كان الزهد دعوة إلى الانصراف عن ترف الحياة ومباهجها ،والاكتفاء بما يقيم الأود ويستر الجسم ،فإن التصوف شظف في العيش ، وخشونة وجوع وحرمان وإعراض عن زخرف الحياة وزينتها ،والزهد فيما يقبل عليه العامة من الناس من لذة وجاه ومال ،والانفراد عن الخلق في الخلوة إلى العبادة والعكوف عليها .

الشعر الصوفي "يعنى بالبحث عن الحقيقة والنفاذ إلى صميم الأشياء وكشف ما وراء الطبيعة ،فهو يحلق في آفاق الطهر،ويسمو فوق الرغبات الحسية ويتفوق على جموح النفس ، بل ويدنيها أحيانا، ويعد الجسم سجنا لها في كثير من الأحيان "[13]

والشعر الصوفي نوع من الشعر يكون إلهيا محضا ،تستخدم فيه المادة الشعرية للرمز عن الحقائق ، وهو شعر مؤول ،لا يقصد ظاهره ،وإنما له محامل يحمل عليها وتليق به ،يروى أن الإمام العارف بالله محي الدين بن عربي ،قال :

يا من يراني و لا أراه كم ذا أراه ولا يراني .

فلما سمع بعض إخوانه هذا البيت ،سأله : كيف تقول إنه لا يراك وأنت تعلم أنه يراك ؟! فقال ابن عربي مرتجلا :

---

[13] الأدب الصوفي ، ص:23

يا من يراني مجرما ولا أراه آخـــــــذا
كم ذا أراه منعما ولا يـرانـي لائـذا[14]

اتضح لنا من خلال هذا الخبر أن الشعر الصوفي لا يفهم إلا على سبيل التأويل .

وإذا تتبعنا الشعر الصوفي في تشاد وجدنا مصادره ومنابعه تتمثل في فنون الشعر الديني والغزل والخمريات وغيرها من فنون،حيث يـأتي في ثـنايا هـذه الأغـراض ،وقلما نجد غرضا مستقلا للشعر الصـوفي التـي تـتـمثل مـوضـوعاتـه فـيـمـا يلي :

أولا: المديح:

المديح عند العرب في عصورهم الأولى فـخـر كله ،إذ إن أساس الطبيـعـة الـبدوية فـضيلة الاعـتماد على النفس ،وهي التي تحدث الكبرياء الصـحـيـحة، ولـم يعرف العرب كذلك التكسب بالشعر ،حـتى ضعفت البـداوة عـنـدهـم ،فرأيـنـا بـعـض الشعراء يتكسبون بشعرهم ،أمثال زهير بن أبي سلمى والنابغـة الـذبياني والأعشى والحطيئة .

ولما جاء الإسلام مدح الشعراء أمثال: حسان بن ثـابت وعـبـد الله بن رواحة وكـعـب بـن مالـك ، الرسـول صلى الله عـليه وسلـم، فـكان ذلك أول مـنـابـع الشـعـر الصـوفي ،فكانـت قـصـيـدة كـعـب بن زهـيـر طـريـقـا الـتـمـسه الشعراء من بـعـده فـي العصور التالية في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم،وتفننوا فيه غاية التفنن ، ومطلعها :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم إثرها لم يجز مكبول[15]

أضحت هذه القصيدة فاتحة لونا جديدا من الشعر، عـرف بـاسم "المدائح النبوية " عند الصوفية ،فهي لون من ألوان التعبير عن العواطف الدينية ،وباب من أبواب الأدب الرفيع؛لأنها صدرت عن قلوب مفعمة بالحب الصادق والإخلاص المـكـيـن .

---

[14] نفح الطيب 367/2

[15] ديوان كعب بن زهير ، تح:أبو سعيد السكري ،ص:20،دار الشواق للطباعة والنشر ، الرياض، السعودية

وقد انتشر هذا اللون من الشعر الصوفي في تشاد، حيث طبيعة أهلها التي تميل إلى حب الرسول وإحياء ذكرى مولده وتعاليمه في المجتمع التشادي .

ويعد من نافلة القول أن شعر المديح النبوي منذ نشأته في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ،وأصحابه ،وجدنا الشعراء التشاديين قد شمل مدحهم للنبي مدح أقطاب الصوفية ومشايخهم ،فالشاعر حسين أبو الدهب له قصائد في مدح الرسول وقصائد في مدح مشايخ الصوفية ،من أمثال الشيخ إبراهيم انياس والشيخ أبي القاسم والشيخ أبي العباس صاحب الطريقة التيجانية،ومن ذلك قوله في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم:

عليك صلاة الله يا خير مرسلا فإنك خير الخلق أصلا وأفضلا .
حباك إله العرش نورا مفصلا نفيت به ظلما وأوضحت مشكلا .
وأجليت وهم الشرك عنا فانجلا تولى ظلام الشرك والنور أقبلا . [16]

وفي قصيدة أخرى له يمدح فيه الشيخ أحمد التيجاني ،يقول فيها:

يا سيدا قد فاق كل أناس وسما بفضل منه دون قياس.
يا شيخنا يا أحمد التيجاني يا سامي الذرى يا مفرد الأجناس.
يا ساكنا فاس وفاس عظمت بعظيم قدرك بل علت كالماس.
قمر ظهرت بها على الأقمار بل شمس علوت بها على الأشماس.
يا بحر فيض عم بالفيض الورى منك العطا قد عم كل الناس .
منك العطايا للبرية كلها يا ثابتا مثل الأشم الراس [17].

فالشاعر يذكر أن ممدوحه قد فاق كل الأنام وجعل مدينة فاس تكتسب الشرف من وجوده فيها ،بل وجعله قمرا وشمسا تفوق كل الأقمار والشموس عند الظهور ،فضلا عن جوده الذي عم كل البرايا .

والشاعر محمد جرمة خاطر يقول في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ،ناصحا بملازمة الذكر والالتزام بشرع الله :

---

(16) ديوان شم النسيم ،حسين أبي الدهب ،ص:1

(17) المصدر السابق ص 12

فـاذكر الـله لا تـفـتـر وكـن معه ولا تغب عنه في الأحوال أحـيانـا
تكن حبيبا ومحبوبا إذا صدقت منك النوايا فقد يكسوك رضوانـا
فألزم الشرع واعمل بالنوافل لا تـفـتـر بالـقـرب قـد يـأتيك إحسانا. [18]

فالشعراء في المديح يعنون بمدح القيم والصفات النبيلة والحث عليها في نفوس الآخرين.

ثانيا: الحب الإلـهي:

ويعني حب العبد لله سبحانه وتعالى ،ذلك الذي أشارت إليه رابعة في قولـها:

أحـبـك حـبـيـن حـب الـهـوى وحـــب لأنـك أهـــل لـذاك .
فأما الـذي هـو حـب الـهـوى فـشغـلي بذكرك عمن سواك .
وأمـا الـذي أنـــت أهـــل لـــه فكشفك للحجب حتى أراك [19]

وتتجلى صورة الحب عند الصوفية في صور نادرة من الوفاء للمحبوب والتفاني والسمو بالمشاعر والتحرر من قيود العالم المادي ،وهو ما ينشده الصوفيون في مشاعرهم .

يقول أحمد أمين:"وللصوفية شعر جميل مملوء بالحب والفناء ووحدةالعاطفة وقوة الوجدان .....وقد استعملوا فيه التعبيرات الدنيوية على سبيل الرمزية من خمر ونساء وبكاء أطلال وحب وهيام وقطيعة ووصال .....يعنون بذلك أحوالهم مع ربهم "[20]

وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك الحب بقولـه تعالى "قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله "[21]

---

[18] ديوان الحقائق في مدح سيد الخلائق ،محمد جرمة خاطر ،ص:14،

[19] ظهر الإسلام ،أحمد أمين ،63/2،دار الكتاب العربي بيروت لبنان،1999م.

[20] المصدر السابق ،66/2

[21] سورة آل عمران ،الآية:31

كما أشار إليه ما روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال :"ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان ،أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما...." [22]

فمما لاشك فيه أن القرآن والسنة قد سبقا الصوفية في استعمال هذا اللفظ ،إلا أنهم قد اهتموا به ويرون أنه فناء في الخالق وتعلق أفئدتهم وانشغالهم الدائم به،يحقق لهم القوة في الإيمان.

والشعر الصوفي في تشاد قد ذكر فيه هذا الحب المتعلق بحب الإله وحب رسوله صلى الله عليه وسلم،وحب مشايخ الصوفية ،ومن ذلك قول الشاعر أبي الدهب :

وواجب حب الله جل جلاله وحب رسول الله فرض على الورى
أحييك يا خير الأنام محمد فجد لي بما أهواه شربا وبالورى[23]

فالشاعر قد أكد على وجوب محبة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم تصديقا للآية السابقة.

و الشاعر علي آدم بحر،في قصيدة يمدح فيها خير البرية،ويبين أن شوقه قد عذبه ونار الغرام تتوقد في أحشائه ،وحرارة الهوى شديدة عنده،يقول:

ضربت طبول الحب نشوان أنشد أردد شكري للإله وأحمد .
لأحمد محبوبي أشيد وأطرب وحبي طوى للحب والحب يشهد.
فإنك محمود وحبي متيم وأنت حبيب الله حبك يسعد .
أجبني رسول الله إني معذب ونار غرامي في الحشا تتوقد.
فإنك معشوق البرايا جميعها ووجدك يزكو في فؤادي ويصعد.
فإني مريض من كلام صبابتي وأنت طبيب عندك الجرح يضمد.
فجد لي بنظرات تخفف لوعتي سواها وجسمي للحشاشة يفقد[24]

---

[22] صحيح مسلم ،66/1.

[23] حسين أبي الدهب مخطوطة

[24] مخطوطة

ومن شعر محمد جرمة خاطر ،الذي يعبر فيه عن حبه لشيخه أحمد علي أبي الفتح،يقول :

واغمرن جميع الصحب حبكم فحبكم حب في المختار والشهدا.
وغاية السر حب في الحبيب وها إنا وصلنا إليكم فافتح السددا.
وأشهد الشاهدين الحاضرين هنا جنا وإنسا وروحاني وما وجدا.
إني ابن جرما محب مادح ومتى ما قام داع إلى المولى فنحن فدا.
صلى عليك إلهي يا محمد ما هبت رياح تثير الترب كل مدى.

وهكذا قال الشعراء في حبهم للخالق وللرسول ولمشايخهم الذين تأثروا بهم ،ونهجوا مناهجهم ، و يلحق بالحب الإلهي ، الخمريات ،وهو الغرض الثالث من أغراض الشعر الصوفي في تشاد.

ثالثا: الخمريات:

ليس المراد به الخمر المنهي عنها والمعروفة،وإنما المراد بها حب الله، وهو ما يعبر عنه بالخمر الصوفي أو السكر الصوفي ، يقول ابن الفارض:

شربنا على ذكر الحبيب مدامة سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم . [25]

والصوفي يصل إلى مرحلة عالية من مراحل الصوفية التي يكون منها الصوفي منصرف عن الخلق مشغول بالخالق ،فهو على ذكر دائم لخالقه في أي مكان وعلى أي وضع ، على حد قوله تعالى:" الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ...." [26]

والشعر الصوفي في تشاد يمس هذا الجانب المهم من جوانب الصوفية، فتجدهم يهيمون بخمرة الحب لله ،حتى تغيب روحهم على الواقع الذي يعيشون فيه ويهيمون مع الذات العلية ، ومن ذلك قول الشاعر علي آدم بحر:

شربت كأسا من خمور تختلف عن الخمور لذة للمرتشف .
ولونها بها البهاء يتصف تفوق مسكا نكهة للمغترف .
فعل شربي عنها إنني لم أقف وراووقها قد جل عن كل الوصف .

---

[25] ديوان ابن الفارض ،ص:

[26] سورة آل عمران ، الآية:191

فخمرتي بها القلوب تستشف لتشهد الحق وفيه تعتكف.
تعالج النفس مع القلب الدنف من الطخا وكل فعل منحرف .
فخمرتي يشربها شرابها شرابها روحي فاق كل صرف.
في الحضرة العظمى كؤوس تمتلا بها علينا كل شيء ينكشف. [27]

كما لم يخل شعر عيسى محمد كوا من الإشارة إلى الخمر الصوفي ،فنجده يقول:

ولكنني سكران من شرب خمرة من البحر فيض برهام قدوتي.
ولا تعتب السكران في حب ربه ولو كان لي عقل لقلت برأفتي. [28]

رابعا : الاستغاثة والتوسل:

الاستغاثة:هي الدعاء بإلحاح وطلب الغوث من الله ؛ليغيث الداعي في الكروب والخطوب والأحداث والأزمات وينقذه منها .

والتوسل: هو التقرب ،من الوسيلة ،يقال :توسل إليه بكذا،أي:تقرب إليه ، والوسيلة: الوصلة والقربى،قال تعالى"أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة "[29]،والتوسل هو ما يتقرب به إلى الغير .

والشعر الصوفي في تشاد لا يخلو من الاستغاثة والتوسل ،بل إنه يأتي في مقدمة الموضوعات التي نظم فيها الشعراء التشاديون،ويندر أن ينعدم في شعر شاعر صوفي متأثر بالصوفية سلوكا وأدبا، ومن ذلك قول الطاهر بن التلبي، وهو في محبسه بالسودان ،وقد حبسه عبد الله التعايشي خليفة المهدي:

يا ربنا يا ربنا يا ربنا أنت خبير وجدير حالنا
أنت أمرت العبد بالدعاء ولقد عني أجيب بالوفاء
توسلت باسمك العظيم وبالعليم اسمك الحكيم
بجملة الأسماء والصفات أهلك عدوي يا عظيم الذات
خذ حقنا من الذي ظلمنا أخذا سريعا عاجلا بلا ونا

---

[27] ديوان بوادر الفتح في مدح الشيخ علي بن أحمد أبو الفتح ،ص:8

[28] ديوان بشرى السعادة،ص 109

[29] سورة الإسراء ،الآية:57

إني توسلت إلى الرحمن بسيد الوجود و التيجان
توسلت يا رب بالقرآن وبجملة الكتب والمثاني
أن تحفظ النفس مع الإخوان وتأخذ الخصم الذي أذاني . [30]

وللشيخ علي أحمد طه قصيدة رائعة في ألفاظها المعبرة عن المعاني المناسبة لموضوع الاستغاثة، وفيها يقول:

فوضت لله جميع أمري في الوجد والفقد وعسري يسري
يا من يجيب دعوة المضطر فلتشفين ما مسني من ضر
ونجني من كل سوء وفتن وعافني من البلايا والمحن
أنت المجيب رب و المعافي وأنت مولاي الكريم الكافي
فلتكفني من كلف ومن تعب ومن هموم و غموم ونصب
يا قابل التوب تقبل توبي يا غافر الذنوب فاغفر ذنبي
يا رب يا رحيم يا رحمن يا حق يا لطيف يا حنان[31]

خامسا: المناجاة والتأمل:

المناجاة تعني الحديث سرا،وهي عند الصوفيين :الدعاء وشكر الله على ما أنعم عليهم من النعم، وتكون بالانفراد للعبادة والذكر ،ولا يشترط للانفراد في العبادة أن تكون في مكان مخصص للاعتكاف .

أما التأمل ،فهو التثبت والتدقيق في أمور الوجود والحياة والمجتمع والطبيعة، "والقلب هو أداة الذكر أساس عند الصوفية ،فهو الذي يستحضر اللفظ أولا ويتصور معناه ثانيا ،ويحاول أن يدرك ما صدق عليه اللفظ بما يناسبه من درجات الإدراك ،وما اللسان إلا مظهر خارجي لذكر القلب"[32]

---

[30] تاريخ الشعر التشادي ،د/حسن محمود حسن ،ص:169دار طيبة للطباعة والنشر،أسيوط ،مصر،2004م.

[31] مخطوطة للشيخ علي احمد طه

[32] هدية الأحباب والخلان، الشيخ أبو بكر عتيق، ص:234.

ومن الشعر الصوفي في المناجاة والـتأمل قـول الشاعر محمد جرمة خـاطـر مناجيا ربه أن يستجيب دعاءه:

إني اقترفت الذنـب والسـوء الـذي حـذرتـني في كـتابك الـمـرسـولا
وحـمـلـت أوزارا وآثـامـا لـهـا تـنـأى الـبغـال حـمـولة و جمالا
وبغت علي نفسي واعترفت بغيها اغـفـر ذنـوبـي كـلـهـا وزلالا
أنـت الغـنـي فلا تـضـرك زلـتـي أنـت الـكـريـم فـلا تـرد سـؤالا
بـمسـائل الله الـعـزيـز سـألـت يـا الـرحـمـن كـل مشـاكـلـي لتحللا
مـسـتغـفرا ربي وأبـدأ دعـوتـي ومـصـلـيـا لحـبـيـبي الـمـفـضالا[33]

وللشاعر حسين أبي الدهب قصيدة جيدة في المناجاة ، يقول فيها:

ولست أبالي معدما أو على غنى إذا مـت فـي ديـن الـنـبي مـحـمـدا
فيا رب اختم لي بـحسن خـتامـه ويا رب اقبضني على حالة الهدى
ويا رب أرشـدني إلـى كـل صـالـح وعـن ضـده كـن لـي إلـهـي مبعدا
وارزقـنـي علـمـا يـقـيـنـا نـافـعـا وكن لي معينا يـا إلـهـي مـسـعـدا
واحـمني من كل سوء ونـجـنـي جـمـيـع شـرور الـعـالـمـيـن وأيـدا
وعافيني من كل سـقـم ومن ضـنـى وفـرق عـنـي مـا يـضـر وبـددا
وأذهـب عـني الـهـم والـغـم والـعـنـا وارزقـنـي قـلـبـا قـنـوعـا وزهـدا
وألـزمـني شـكـرا عـلـى أي حـالـة لأثـنـي عـلـى كـل الأمـور واحـمـدا[34]

فهذه الأبيات تبرز لنا نظرة الشاعر إلى الدنيا وعزوفه عنها ورغبته الأكيدة في الآخرة ، ودعاءه أن يختم له بخاتمة السعادة ، وأن يرشده إلى الطريق المستقيم، وله قصيدة قد تأمل في الكون وجماله،مما ترتب عليه زيادة اليقين أن الذي أوجده هو إله فرد صمد لم يحتج في صنعه إلى معين ، يقول:

جمال الـكـون حـيـرني فـكـيـف مكـون الأكـوان
وكـم لـون لـه فـاعجب ولـيـس لـربـه لـــون
بـرى الـوجـود أجـمـعـه ولـم يـحـتـج إلـى العون

---

(33) قصيدة للشاعر محمد جرمة خاطر

(34) قصيدة للشاعر مخطوطة

تـــقدس ربـــنـا حتـى تـناهى القدس والـصون[35]

سـادسـا: الـــزهـــد:

تعد نزعة الزهد لدى المسلمين قيمة أصيلة من قيم الإسلام الخالصة ،التي من شأنها الإخلاص لله والانقياد له والتوجه إليه بالعمل الصالح .

ولما كان الشعراء أكثر من غيرهم تأثرا بما يضطرب في مجتمعهم، فقد تعلق بالنظم في الزهد أكثر الشعراء .

وفي تـتبعنا للشعر الصوفي في تشاد نجد أن الشعراء ينظمون في الـزهـد متخذين دعوة الابـتعاد عن الدنيا ومتاعها وزخرفها الفاني ، قال تعالى"ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا ورزق ربك خير وأبقى"[36] وقال تعالى "إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا"[37] .

والشعراء بين أيديهم كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم ، قد جعلهم لايبالون بنعيم الدنيا ولا زخرفها ولا يشغلون بالهـم بها ،وهم يطـمعـون في جـنـة الخلد ودار السعادة الدائمة في الآخرة، وقد عبر الشعراء عن تلك المعاني ،فهذا الشيخ علي أحمد طه أحد الشعراء الزاهدين، يقول في قصيدة له :

يا مـن إلـيـك تـرجـع الأمـور جـمـيـعـها كـما له تـصـير
ارحم عبيدا من سواك يئسا وفـقـره إلـيـك قـد تـأسـسا
فـلتـعـطـه جـمـيـع ما يـريـد فـي كل حال كان ما يريد[38]

بل إن الشاعر علي آدم بحر أحب صفة الزهد ونصح أبناءه أن يتصفوا بها ، موصيا بها أحد أبنائه ، قائلا:

---

(35) المصدر السابق

(36) سورة طه ، الآية:131

(37) سورة الكهف، الآية: 7

(38) قصيدة مخطوطة

كن زاهدا لا حاقدا تجني العدا فاصفح وأكرم واهد للأكوان [39]

سابعا: الوعظ والإرشاد:

الوعظ والإرشاد بمعنى النصح والتوجيه ، و قد تأثر الشعر بالإسلام منذ ظهوره بالقرآن وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وأقوال الصحابة _رضوان الله عليهم_ مما انعكس على شعر بعض الشعراء ، فكان منهم الوعاظ الذين يعظون الناس ويذكرونهم باليوم الآخر والحساب والثواب والعقاب والجنة والنار، والدعوة إلى العمل الصالح و مجانبة كل خلق ردئ والتخلق بالأخلاق الكريمة.

ومن الشعر الصوفي في تشاد في مقام الوعظ والإرشاد قول الشاعر أحمد البرعي:

وإن لاقيت من لا خير فيه اغض نظرا ولا تطل الخطابا
وإن أبصرت يوما ليس فيه من الطاعات فاحذر أن تصابا[40]

فالشاعر يتوجه بالوعظ قائلا:إذا لقي الإنسان من لا خير فيه ،فالأولى تجنبه وعدم مصاحبته،كما أن الإنسان إذا لم يعمل صالحا فعليه الحذر من الوقوع في العصيان.

ومن ذلك أيضا قول أبي الدهب، ناصحا و واعظا:

تباعد عن الأقوام إن كنت ذا أدب ولا تقترب فالشر يلقى من اقترب
وعش مفردا أو آنس بذكر المهيمن ففي ذكره الإيناس والفرح والطرب
ولا تشك إلا للقديم بحالة وإن كنت في دنياك في شدة الكرب
ولا محسنا إلا القليل من الورى فما تنفع الشكوى إلى صاحب النسب
واكتم سرا لا تبيح فإنني رأيت كثير الشر يأتي من الصحب

---

[39] قصيدة مخطوطة

[40] قصيدة مخطوطة

تلك هي موضوعات الشعر الصوفي في تشاد، والذي لاشك فيه أنه صدى لروح الإسلام في معانيه التي نهلها من القرآن والحديث وأقوال الصحابة والتابعين والصالحين ،مما أكسب الشعر كثيرا من المعاني التي حث عليه الإسلام .

علاقة الشعر الصوفي التشادي بالشعر الصوفي العربي:

تبدو العلاقة واضحة بين الشعر الصوفي التشادي والشعر الصوفي العربي ،حيث يلتقي كل منهما في كثير من الموضوعات التي نظم فيها شعراء الصوفية من مديح واستغاثة وخمر وغيرها،فالشعراء التشاديون قد نظموا فيها أيضا، كما أنه يحاكي ما قبله من شعر صوفي من حيث الشكل والصور والأخيلة المستمدة من القرآن والسنة النبوية ومصطلحات الصوفية .

ومن ذلك الحب الإلهي حيث تأثر الشعراء الصوفيون في تشاد بالشعر الصوفي العربي،وقد سبق تناول هذا في موضوعات الشعر الصوفي التشادي ،وهم في ذلك متأثرون بالشعر الصوفي العربي وخاصة بشعر سلطان العاشقين ابن الفارض،فقد اقتطع من قلبه كثيرا في حب الله ، ولم يكن هذا الحب لله فحسب ،ولا ينفني في جمال الذات الإلهية المطلق فحسب ، بل إنه يحب كل شيء ويجد نفسه منجذبا إلى كل شيء جميل ،ونجده يحدث عن نفسه فيرى أن ما قيل قبله في الحب الإلهي وما سيقال بعده، لم يبلغ مبلغه،بل إنه المثل العلى الذي ينبغي أن يقتدى به، يقول:

قل للذين تقدموا قبلي ومن بعدي ومن أضحى لأشجاني يرى
عني خذوا و بي اقتدوا ولي اسمعوا وتحدثوا بصبابتي بين الورى [41]

ويقول أيضا:

فإن شئت أن تحيا سعيدا فمت به شهيدا وإلا فالغرام له أهل
فمن لم يمت في حبه لم يعش به ودون اجتناء النحل ما جنت النحل [42]

---

[41] ديوان ابن الفارض ،شرح وتحقيق:عبد القادر محمد مايو،مراجعة :احمد عبدالله فرهود ،ص :74، دار القلم العربي ،حلب ،سوريا ، ط:الأولى ،1421هـ_2001م.

[42] المصدر السابق ، ص:107

ويقول :

نسخت بحبي آية العشق من قلبي فأهل الهوى جندي وحكمي على الكل

وكل فتى يهوى فإني إمامه وإني بريء من فتى سامع العذل [43]

حقا لقد بات ابن الفارض متخصصا في العشق الإلهي والحضرة النبوية ،فقد ظل طوال حياته عبدا خالصا لله لا يشرك أحدا سواه.

يدلنا ذلك على أن الصوفية في حبهم لله لا يعول عليه بالطاعة ،لأنها واجبة على الجميع ، فمن أطاعه فيجزى خير الجزاء،أما الحب فهو حب خالص مجرد عن أي غرض،فالإمام القشيري يورد في رسالته آراء المحبين العارفين في الحب الإلهي ، يقول الجنيد : " كل محبة كانت لغرض إذا زال الغرض زالت تلك المحبة "[44] ، ويقول محمد الفضل : " سقوط كل محبة من القلب لا محبة الحبيب" [45].

تلك نظرتهم إلى الحب الإلهي ، يجب أن يكون مجردا عن أي غرض ، وأدنى درجات الحب الإلهي الخوف ثم القبض والبسط ثم الهيبة والأنس ثم الوجد والوجود.

والصوفي المحب تارة يستشعر حبه في قلبه؛ لأن هذا المحبوب عز وجل قد خصه بآلائه ونعمائه فهو لا يسعه إلا أن يقابل ذلك الإحسان وتلك الآلاء والنعم بحبه إلى المحسن وإقباله عليه، وتارة يستمد العبد المحب موضوعه من المحسن المنعم ذاته ، لا من الإنعام ولا من الإحسان ،فهو قد غلب علي حب الله لذاته لا خوفا من عقابه ولا طمعا في ثوابه ، بل ابتغاء لوجهه تعالى، وهو ما أشارت إليه رابعة العدوية بقولها:

أحبك حبين حب الهوى وحب لأنك أهل لذاك .

فأما الذي هو حب الهوى فشغلي بذكرك عمن سواك .

---

[43] المصر السابق ، ص :113

[44] الرسالة القشيرية ،ص: 160،ط: الثانية، الحلبي، 1959م.

[45] المصدر السابق ،ص: 159

وأما الذي أنت أهل له فكشفك للحجب حتى أراك.
فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي ولكن لك الحمد في ذا وذاك . [46]

وابن الفارض حامل لواء العشق الإلهي له في ذلك سبحات ونغمات ذلك الحب الولهان الذي تخطي كل مراتب الحب حتى وصل إلى الغناء في المحبوب ،وأنه ليس في حبه وشهوده ويبالغ في وصف هذا الشهود وذلك الحب مبالغة تكاد أن تؤمن معها بأن صاحب هذه النفس قد خلق محبا بطبيعته منجذبا إلى الحال بفطرته، يقول ابن الفارض:

زدني بفرط الحب فيك تحيرا وارحم حشا بلظى هواك تسعرا
وإذا سألتك أن أراك حقيقة فاسمح، ولا تجعل جوابي :(لن ترى)
يا قلب، أنت وعدتني في حبهم صبرا ، فحاذر أن تضيق وتضجرا
إن الغرام هو الحياة ،فمت به صبا ،فحقك أن تموت وتعذرا
قل للذين تقدموا قبلي ومن بعدي ومن أضحى لأشجاني يرى
عني خذوا وبي اقتدوا ولي اسمعوا وتحدثوا بصبابتي بين الورى
ولقد خلوت مع الحبيب وبيننا سر أرق من النسيم إذا سرى
وأباح طرفي نظرة أملتها فغدوت معروفا ، وكنت منكرا[47]

إنه يصور ولعه وحبه ومقدار هذا الحب، فهو يطلب من محبوبه زيادة في التحير، لأن في التحير لذة،ثم هو يطلب أن يرحم قلبه الذي اشتعل فيه نيران الحب،ويطلب رؤية المحبوب ويستسمحه، ولا يكون جوابه هو نفس جواب موسى عليه السلام"قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني"[48] **ثم يسترسل في وصف حبه ويجري حوارا بينه وبين قلبه الذي شكى له اللهيب فيحثه على الصبر وعدم اليأس ، فالحب حياة ومن حقك أن تموت ولك العذر في ذلك، ثم هو يدعو المحبين _بعده_ أن يقتدوا به، ثم خلى مع محبوبته وبينهما سر خفي ،لا يريد الشاعر إبرازه، ولابد من الكتمان حسب معتقدات الصوفية، ولقد تمتع بنظرة من حبيبه ، فأصبح حاله كحال الاسم المهمل النكرة بعد تعريفه وتعيينه ، ثم يقول :**

---

(46) ظهر الإسلام 66/2

(47) ديوان ابن الفارض ، ص:74_75

(48) سورة الأعراف ، الآية:143

فدهشت بين جماله وجلاله وغدا لسان الحال عني مخبرا
فأدر لحاظك في محاسن وجهه تلقى جميع الحسن فيه مصورا
لو أن كل الحسن يكمل صورة ورآه، كان :مهللا ومكبرا[49]

إنه مندهش بين جمال الذات الإلهية وجلالها ، وقد اعتراه ما اعتراه من دهشة، فجمال الذات الإلهية هو الجمال المثالي، بل كل الحسن لو تجمع فيه كل عناصر الجمال حتى اكتمل ، ثم رآني هذا الكمال جمال الذات الإلهية، فلن يسعه إلا أن يكبر ويهلل من أجل هذا الجمال الإلهي .

إننا نلمح الجانب الحسي في الألفاظ و العبارات ،كما أن الأسلوب يضيئ ويبين المحبوب الحقيقي، إنه هو الذي قال لموسى (لن تراني)، وهو الجمال والجلال وكل الحسن فيه مصور، وهو الذي لو رآه مجمع الجمال لهلل وكبر،إنه الله العلي القدير.

ومن تأثر الشعر الصوفي التشادي بالشعر الصوفي العربي الذي عرف عن شعرائه بعض الغموض في اللفظ والمعنى، إلا أن هذا الغموض في الشعر التشادي كان أقل منه غموضا ، ومن ذلك قول الشاعر الطاهر التلبي في قصيدة له يقول في بعض أبياتها :

بعزك يا شطوش يا خالق الورى بآج تزيج الكرب عني والعسر
وأنت أهوج يا لطيف بخلقه تموه عزيز ذو الجلال وذو قهر
بكاخ هموش تطرش وشرنطخ بعزك يا باروخ يا كاشف الضر
شماطيع شماخ باك بهلطف بحكمة يا يوه مدبر للأمر
وأنت أحون يا أمون وحوسهم بعلمك يا قدوس يا سابل الستر
بجودك أشماطون فاقبل تضرعي وتعلم حالي ضاق قلبي كذا صدري
فسبحانك اللهم يا فالق النوى ويا من يرى للدر في باطن البحر[50]

---

[49] ديوان ابن الفارض ، ص: 75

[50] تاريخ الشعر التشادي ، ص:156

فنرى في الأبيات كلمات (شطوش ،بكاخ ،هموش، تطرش ،شرنطخ....وغيرها) لانعرف ما تدل عليه ،فهي تبدو كالطلاسم ويوقعنا الشاعر في حيرة،هل قصد بها أسماء الله _عز وجل _ أو قصد غيرها، وإذا كان أطلقها على الله _ عز وجل فإنها لم تكن من الأسماء المعروفة ،فهذه الألفاظ غير واضحة المعنى ولا يدركها إلا الذين يؤولونها .

إذن فعلاقة الشعر الصوفي التشادي بالشعر الصوفي العربي "علاقة الخاص بالعام ، فإذا راح الصوفيون يقتبسون من شعر الخمرة كل شيء ، السكر والعبق والإشعاع والأثر وما إلى ذلك ويدرجونها في أشعارهم ويوجهونها إلى أغراضهم الخاصة ، فالشعراء التشاديون إذا قرأنا نتاجهم وجدنا فيه من ذكر الخمرة والنشوة والسكر وما يتصل به كما هائلا من الألفاظ والتعابير والمعاني ، ولكنها جميعا رموز إلى سكر إلهي وخمرة روحية ، وليس سكرا حسيا "[51]

خصائص الشعر الصوفي التشادي :

تتجلى حقيقة الأدب الصوفي في أنه يتسم بلون خاص ،فهو أدب الفكرة، وهو الأدب المحمل بالمعاني الفلسفية ،وهو أدب قوم لا يخطون خطوة إلا بوحي من الفكرة الأخلاقية، ولم يكن الأدب عندهم مجرد صياغة تعبيرات شعرية تبعث على الإعجاب،وإنما كان وسيلة من وسائل التعبير عن أزمات النفوس وخواطر القلوب.

ويمكننا من خلال تناولنا لموضوعات الشعر الصوفي في تشاد ، أن نستخلص أهم الخصائص التي اتسم بها هذا الشعر ، وهي تتمثل فيما يلي :

أولا : الاعتناء بالنفس الإنسانية والحديث عنها .

ثانيا : الرمزية في الأسلوب والموضوعية، جعلته صاحب نزعة سريالية ، يدعو

---

(51) الشعر الديني الصوفي في تشاد (رسالة دكتوراه بجامعة الملك فيصل قسم الأدب والنقد بكلية اللغة العربية) إعداد: أحمد الرفاعي محمود،ص:128،إشراف الدكتور:حسن محمود حسن ،1426هـ_2005م

إلى التحلل من كل منطق تقليدي ، يكشف دور اللاوعي في العمل الفني، مشيرا إلى التداخل بين الأحلام والواقع،من خلال الحديث عن النفس،حديث الرؤى والأحلام والعقل الباطن .

ثالثا: التعبير عن الحب واتخاذه مذهبا للحياة ،ووصل بهم هذا الحب إلى درجة العشق الإلهي والتحليق في عالم الروح والنور والسماء.

رابعا: الثراء والصدق في المعنى ،وسعة الخيال وتنوع الأغراض والقدرة على استخدام الألفاظ والتعبير بالصورة لرسم الفكرة .

خامسا: التعبير عن وجدان الشاعر في ذاته وأعماق نفسه ،جعله من الشعر الرومانسي الحالم .

وختاما:

الشعر الصوفي شعر روحي يحلق في آفاق الطهر ويسمو فوق الرغبات الحسية ،ويتفوق على جموح النفس ،بل ويدينها أحيانا ، ويعد الجسم سجنا لها في كثير من الأحيان .

الخاتمة

بعد هذه الرحلة الخاطفة التي تجولنا فيها مع الشعر الصوفي في تشاد ، وما هي إلا صفحات متواضعة ، فيها نفحات من الأنس الذي نعمت به أرواح المحبين الذائقين لمعاني الجمال الحقيقي في معاني ذلك الحب الإلهي ، فليس من شك أنه لا أفعل في القلوب ولا أنسب لتحققه بالصفاء والجلاء وحديث المحبين.

وقد توصلت الدراسة بعد هذا العرض الموجز إلى مايلي :

أولا : للصوفية أثر كبير في نفوس الناس ؛ نتيجة لانتشارها في جميع أنحاء البلاد ، وقد ظهر من بينهم شعراء تحدثوا عن موضوعات عديدة ،مثل المدائح النبوية والحب الإلهي والمناجاة والتضرع والزهد .....الخ .

ثانيا: كشفت الدراسة أن الشعر الصوفي في تشاد قد أسهم بنصيب لا بأس به في الأمصار التي عرفت التصوف وانتشر بين أهلها ، من حيث روعة الأسلوب وجودة التعبير .

ثالثا: الشعر الصوفي في تشاد نظم معظمه على الطريقة التقليدية .

رابعا: المبالغة في مدح شيوخ وأقطاب الصوفية .

خامسا: وجود بعض سمات الغموض والرموز على الشعر الصوفي في تشاد لا يمكن فهمه إلا بعد تأويل،كما أن الشعراء الصوفيين لديهم قوة إيمان بما يقولون ؛ نتيجة لشدة التأثر بالفكرة .

التوصيات :

1. **الاهتمام بدراسة التراث الأدبي في أفريقيا _عامة_ وتشاد خاصة ، وذلك من خلال عمل دراسة ميدانية عن الشعر العربي الأفريقي، عبر قائمة بأسماء الشعراء الأفارقة ،ووضع ترجمة لهم ،وتجميع نتاجهم الشعري المخطوط والمطبوع.**
2. **تحقيق المادة الشعرية المجموعة تحقيقا علميا منهجيا وتخزينها الكترونيا.**
3. **دراسة مسيرة أغراض الشعر _ عامة _ و الشعر الصوفي _ خاصة_ في أفريقيا ،ودراسة كل شاعر دراسة مفردة ، مع محاولة بيان مختلف المؤثرات العربية والإسلامية في شعره ،بما يربطه بالحركة الشعرية العربية عامة .**
4. **عمل ديوان للشعر في أفريقيا، يضم الشعراء المجيدين ،ويتم التعريف بكل شاعر وتقدم منتخبات محققة من شعره في مختلف الأغراض ، كما تذكر أبرز أعماله ، وأهم ما كتب عنه بالعربية واللغات الأجنبية .**
5. **تشجيع الأدباء بإقامة الندوات والمحاضرات والمسابقات الأبية لتعريف الناس بالأدب الأفريقي ،وعمل جوائز تشجيعية للنهوض به.**

وختاما:

وبعد فهذه هي دراسة لـــــ" الشعر الصوفي في تشاد " وإني لأرجو أن أكون قد وفقت في رسـم صـورة واضـحة متكاملة لهذا اللون من الأدب ، وأكون قد وفقت في إضافة حلقة جديدة إلى حلقات الدراسات السابقة لهذا اللون من الأدب ، فإذا صح ذلك فبفضـل من الله وعونه ، وإلا فحسـبي أنى لم آل جهداً في سـبيل تحقيق الغاية وبلوغ الكمال ، الذي ليس إلا لله وحده ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الـمصادر والمراجع

أولا : القرآن الكريم.

ثانيا : المخطوطات.

1. ديوان بشرى السعادة . الشيخ عيسى محمد كوا.
2. ديوان بوادر الفتح في مدح الشيخ علي بن أحمد أبو الفتح . محمد جرمة خاطر.
3. ديوان شم النسيم ،حسين إبراهيم أبي الدهب .
4. مجموعة قصائد للشعراء: علي آدم بحر ،علي أحمد طه ، أحمد البرعي

ثالثا: المطبوعات:

1. الأدب الصوفي _اتجاهاته وخصائصه ،د/ صابر عبد الدايم، دار المعارف، ط:2، 04هـ/1984م.
2. تاج العروس.الزبيدي.تحقيق:إبراهيم الترزي. دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان.1987 م .

3. تاريخ الشعر التشادي .د/حسن محمود حسن.دار طيبة للطباعة والنشر .أسيوط. مصر .2004م.
4. التصوف الإسلامي مبادئه ومقاصده وغاياته .أحمد التيجاني القوني. دار التيجاني المحمدي .تونس .1987م.
5. جمهرة الأولياء وأعلام التصوف .محمود أبو الفيض .عيسى البابي الحلبي وشركاه القاهرة .مصر،1967م

6. ديوان ابن الفارض ،شرح وتحقيق:عبد القادر محمد مايو،مراجعة :أحمد عبد الله فرهود دار القلم العربي ،حلب ،سوريا ، ط:الأولى ،1421هـ_2001م

7. ديوان درر الحقائق في مدح سيد الخلائق ،محمد جرمة خاطر
8. ديوان كعب بن زهير ،تحقيق:أبو سعيد السكري ، ،دار الشواق للطباعة والنشر ، الرياض، السعودية
9. الرسالة القشيرية ،ص: 160،ط: الثانية، الحلبي، 1959م
10. صحيح مسلم . دار إحياء التراث العربي . بيروت . لبنان .1954م.
11. ظهر الإسلام .أحمد أمين.دار الكتاب العربي . بيروت لبنان.1999م.
12. القاموس المحيط.الفيروزبادي. دار إحياء التراث العربي. بيروت. لبنان.1991
13. لسان العرب . ابن منظور. دار صادر . بيروت . لبنان **.**
14. لمحات من التصوف وتاريخه . حسين السائح علي . كلية الدعوة الإسلامية . طرابلس . ليبيا .1997م.

15. المصباح المنير.الفيومي. دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان. 1987م .

16. المعجم المفصل في الأدب .د/ محمد التو نجي . دار الكتب العلمية. بيروت .لبنان.ط :2 _1419هـ/1999م

17. نفح الطيب . المقري . دار صادر. بيروت . لبنان.1980

18. هدية الأحباب والخلان، الشيخ أبو بكر عتيق. محمد الأمين عمر.مطابع الزهراء للإعلام العربي. القاهرة. مصر.1988م.

رابعا : الرسائل الجامعية:

الشعر الديني الصوفي في تشاد (رسالة دكتوراه بجامعة الملك فيصل قسم الأدب والنقد بكلية اللغة العربية) إعداد: أحمد الرفاعي محمود،ص:128،إشراف الدكتور:حسن محمود حسن ،1426هـ_2005م

محتويات البحث

الموضوع:
رقم الصفحة

المدلول اللغوي لكلمة "تصوف"..... 1
المدلول الاصطلاحي لكلمة "تصوف"..... 2
نشأة التصوف..... 3
ظهور الشعر الصوفي في تشاد..... 5
موضوعات الشعر الصوفي..... 6
أولا: المديح 7
ثانيا: الحب الإلهي 9
ثالثا: الخمريات..... 11
رابعا : الاستغاثة والتوسل 12
خامسا: المناجاة والتأمل..... 13
سادسا: الـــــزهـــــد..... 14

سابعا: الوعظ والإرشاد..... 15
علاقة الشعر الصوفي التشادي بالشعر الصوفي العربي..... 16
خصائص الشعر الصوفي التشادي..... 20
الخاتمة..... 21
التوصيات 21
المصادر والمراجع..... 23
محتويات البحث 25

ملخص بحث
الشعر الصوفي في تشاد
موضوعاته وخصائصه

الأدب الصوفي _ومنه الشعر _ تختلف حوله الآراء ووجهات النظر بين القبول أو الرفض أو

الطعن عليه أو غض الطرف عنه والابتعاد عنه،ولكن من ينعم النظر يجد الأدب الصوفي

عامة _ والشعر منه خاصة_ يعنى بالبحث عن الحقيقة والنفاذ إلى حقيقة الأشياء ،وكشف

ما وراء الطبيعة ، فهو أدب روحي عظيم ، يحلق في آفاق الطهر ، ويسمو فوق الرغبات

الحسية ، ويتفوق على جموح النفس فكرا وأسلوبا وخيالا ومعرفة ورؤية فنية خصبة ،

ويكفيه الفخار أنه أدب ثائر على التقاليد والموروثات الفنية التي سادت عند العرب في

العصور الأدبية السابقة ، حين كان الشعراء يتكسبون بأشعارهم وينافقون الخلفاء في أكثر

مدائحهم ، كما كان النقاد والـفـقهاء يعتـقدون أن الشعر لا يستطيع أن يـلبي متطلبات الإنسان

الروحية ،و يعبر عن أشواقه إلى تحرر النفس ، وانطلاق الروح ، لذا ظل الأدب الصوفي بعيدا

عن نظر النقاد وتقديراتهم ؛ حتى أشار الـنقاد إليه فـي العصر الـحديث كاشـفيـن عـن بعض

نفائسه وكنوزه الخبيئة ، وقـيمـه الفنية الرائعـة ، وأخـيلـته الجـذابـة ، ورمـوزه الساحـرة .

وفي هذه الدراسة التي تناولت الشعر الصوفي في تشاد ، تهدف إلى التعرف على

المدلول المعرفي والاصطلاحي لكلمة "تصوف " وصلتها بالشعر عامة والتشادي خاصة ،

من خلال إبراز أهم الموضوعات التي يدخلها الشعر الصوفي في تشاد من مدح ،واستغاثة

وتوسل ، وتأمل ومناجاة ، وزهد ، وغزل ، وخمريات ، وغيرها .

كما تناولت الدراسة أيضا علاقة الشعر الصوفي التشادي بالشعر الصوفي العربي ،

ومدى تأثره به في كثير من الأحيان في الموضوعات والأساليب والصور التي تستمد

منابعها من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة ومصطلحات الصوفية .

وأشارت الدراسة أيضا إلى أهم خصائص هذا الشعر الصوفي التي من أهمها الصدق الفني

واشتماله على كثير من الرموز التي لا يمكن فهمها إلا بتأويل والسمو الروحي والمعاني

النفسية العميقة والخضوع التام لإرادة الله القوية وبعد الخيال وغموض المعاني الرمزية

والنزوع إلى الحديث عن أعماق النفس الإنسانية حيث الرؤى والأحلام والعقل والباطن ،

فهو شعر وجداني خالص ، ومذهب رومانسي حالم .

من خلال هذه الدراسة يعرف القارئ أن الشعر الصوفي في تشاد قد أسهم بنصيب موفور

في إثراء النهضة الأدبية ، ووصل على مرحلة تقربه من الشعر الصوفي في الأقطار التي

عرفت التصوف مبكرا وانتشر بين أهلها ، حيث الروعة الفنية والإجادة التعبيرية ، على

الرغم من أن هؤلاء الشعراء لم يعملوا على صقل الموهبة الشعرية لانشغالهم أو لعدم

اكتراثهم بصقل هذه العملية الإبداعية ، نتيجة للظروف البيئية التي يعيشونها ،إضافة إلى

غياب التوجيه والنقد في توجيه إبداعاتهم وأشعارهم .

د/ إيهاب علي عامر علي بدران

المحاضر بكلية الآداب والإعلام والفنون
بجامعة الملك فيصل بدولة تشاد
وعضو بعثة الأزهر الشريف

السيرة الذاتية

الاسم:	**إيهاب على عامر على بدران**
رقم البطاقة الشخصية:	**27507191701797**
الجنسية:	**مصري**
رقم الجوال:	**00201274757713**
رقم الهاتف:	**0020482517444**
رقم الفاكس:	
البريد الإلكتروني:	**hobaamr60@yahoo.com**

المؤهلات العلمية		
	الشهادة	**سنة التخرج**
1	ماجستير لغة عربية /أدب ونقد/ممتاز /جامعة الأزهر	2005
2	دبلوم الخط العربي	2004
3	ليسانس لغة عربية /شعبة عامة/ /جامعة الأزهر	1997
4	دكتوراه لغة عربية/أدب ونقد/مرتبة الشرف / جامعة الأزهر	2014

الخبرات العملية

1. **التدريس بالأزهر من عام 2000 إلى عام 2008،ومن عام 2009 إلى 2012**
2. **التدريس بالمملكة العربية السعودية متعاقدا للعام الدراسي 2009/2008**
3. **العمل محاضرا بكلية اللغة العربية (سابقا) الآداب والإعلام والفنون (حاليا) من عام 2013 إلى تاريخه مبعوثا من الأزهر الشريف بجمهورية مصر العربية**